القصة

في القرآن الكريم

أحمد الجوهري عبدالجواد

الألوكة
www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

الجامعة الأمريكية المفتوحة

برنامج الماجستير

قسم أصول الدين

بحث مقدم في مادة

علوم القرآن (٢)

للأستاذ الدكتور

عبد الرحمن محمد علي عويس

بعنـــــــوان

القصـــة في القـرآن الكـريم

تـــقـــديـــم

الطـــالب/ أحمد الجوهري محمد الجوهري عبد الجواد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

مقـــدمـة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن الله جل جلاله أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وقد سلك القرآن الكريم في سبيل الوصول إلى هذه الغاية كل وسيلة شريفة جليلة من شأنها تحقيق هذا الهدى، ومن وسائل القرآن الكريم التي اتبعها في هذا الصدد:

القصـــــــــة

والقصة وسيلة من وسائل التعبير الجذاب، وفن من فنون القول الخلاب، ويكفي للدلالة على هذا قوله – صلى الله عليه وسلم – بعدما قص نبأ موسى مع الخضر - كما في البخاري من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه: " قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ فَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا".

وفي لفظ: "يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوْ كَانَ صَبَرَ يُقَصُّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا". [1]

والقصة تصل بالفكرة المرادة منها إلى متلقيها بيسر وسهولة مع حب وتطلع، ويقظة وتأمل، إضافة إلى ما امتازت به القصة القرآنية خاصة من ميزات وخصائص تجعلها أقرب إلى تحقيق هدفها وترسيخ غايتها والوصول إلى مرماها.
وفيما يلي من السطور أعرض لبحث ما يتعلق بالقصة القرآنية كما تُظهر مفاصلُها الرئيسة في القرآن الكريم على النحو التالي:

[1] رواه البخاري (٣٤٠١) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، دار الشعب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

محـــــــاور البحث

- **أولا:** تمهيد
- أ- اشتمال القرآن على كافة فروع العلم
- ب - اشتمال القرآن على أصول فنون التعبير
- **ثانيا:** القصة في التعريف اللغوي والاصطلاحي، وفي القرآن الكريم
- **ثالثًا:** أنواع القصص القرآني
- المبحث الأول: أنواع القصص القرآني من حيث التكرار وعدمه
- بعض الحكم من وراء تكرار القصص القرآني
- المبحث الثاني: أنواع القصص القرآني من حيث موضوعه
- **رابعا:** أغراض القصص القرآني
- **خامسا:** خصائص القصص القرآني
- **سادسا:** التربية بالقصص القرآني
- أثر القصص القرآني في التربية والتهذيب
- الميزات التربوية للقصص القرآني
- **سابعا:** القصة وسيلة دعوية
- ضوابط استخدام القصة في الدعوة
- **ثامنا:** مقارنة السرد القصصي بين القرآن الكريم والعهد القديم
- **تاسعا:** من أوجه الاختلاف بين القصة الدينية والقصة الفنية
- **عاشرا:** تنبيهات وتحذيرات

تلك عشرة عناصر كاملة، وقد درت مع هذه العناصر حتى أصل إلى تصور لأصول القصة القرآنية ثم ضمنت تلك الأصول في صورة نتائج حوتها خاتمة البحث الذي ذيلته في نهايته بثبت المراجع وأعقبت ذلك كله بفهرس يدل على ما حواه من عناوين فرعية وأصلية.

وقد تجردت من كل حول وطول ورجوت الله حوله وطوله، وجعلت الله تعالى غايتي وحسبي، وهو كاف عبده ، وهو على كل شيء قدير.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

- أولا: تمهيد

أ- اشتمال القرآن على كافة فروع العلم.

اشتمل القرآن الكريم على فروع العلوم كافة وخاطب أهل المعارف في كافة التخصصات وفيه هدايات لو تتبعها أهل كل فن لرأوا فيه من فنونهم وعلومهم ومعارفهم عجبا مما تنسحر به قلوبهم وتتخلب به ألبابهم وكان قصد القرآن من ذلك إثارة انتباه أصحاب المذاهب والمعارف وجذب أنظارهم إليه ليأخذ بأيديهم إلى غايته التي يبغي وهدفه الأسمى الذي إليه يرمي ألا وهو هداية الناس أجمع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم.

وهذه الهداية - بما حوته من علوم وعارف- قد "بلغت في نبالة القصد ونصاعة الحجة وحسن الأثر وعموم النفع مبلغا يستحيل على محمد وهو رجل أمي نشأ بين الأميين أن يأتي بها من عند نفسه بل يستحيل على أهل الأرض جميعا من علماء وأدباء وفلاسفة ومشرعين وأخلاقيين أن يأتوا من تلقاء أنفسهم بمثلها.

هذا هو التنزيل الحكيم تقرؤه فإذا بحر العلوم والمعارف متلاطم زاخر وإذا روح الإصلاح فيه قوي قاهر، ثم إذا هو يجمع الكمال من أطرافه فبينا تراه يصلح ما أفسده الفلاسفة بفلسفتهم إذ تراه يهدم ما تردى فيه الوثنيون بشركهم وبينا تراه يصحح ما حرفه أهل الأديان في دياناتهم إذ تراه يقدم للإنسانية مزيجا صالحا من عقيدة راشدة ترفع همة العبد وعبادة قويمة تطهر نفس الإنسان وأخلاق عالية تؤهل المرء لأن يكون خليفة الله في الأرض وأحكام شخصية ومدنية واجتماعية تكفل حماية المجتمع من الفوضى والفساد وتضمن له حياة الطمأنينة والنظام والسلام والسعادة دينا قيما يساوق الفطرة ويوائم الطبيعة ويشبع حاجات القلب والعقل ويوفق بين مطالب الروح والجسد ويؤلف بين مصالح الدين والدنيا ويجمع بين عز الآخرة والأولى كل ذلك في قصد واعتدال، وببراهين واضحة مقنعة تبهر العقل وتملك اللب والكلام على هذه التفاصيل يستنفد مجلدا بل مجلدات. [٢]

وهذا كله مما يثبت أن القرآن العظيم من عند الله العلي الحكيم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه وحسبي في هذا التمهيد الإشارة إلى ذلك لأقول:

إن من -أو لأقل: أولى- العلوم والمعارف التي اشتمل عليها القرآن وأتى بها على صورة بهرت أربابها وأصحابها وآباء عذرها: علوم اللغة العربية، فقد بهر القرآن العقول وأذهب القلوب كل مذهب في طريقة تناوله للفنون التي تشتمل عليها هذه اللغة، وهو ما أتناوله في النقطة التالية من التمهيد ألا وهي:

---

[٢] مناهل العرفان في علوم القرآن، للعلامة محمد عبد العظيم الزرقاني (٢ / ٣٤٣) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

٢- اشتمال القرآن على أصول فنون التعبير:

امتاز القرآن الكريم بأسلوب فذ كان من خصائصه وأسباب تميزه التي توافرت فيه حتى جعلت له طابعا معجزا في لغته وبلاغته، وقد نوع القرآن الكريم ذلك الأسلوب في طريقه للوصول إلى قلوب مخاطبيه تنوعا أتى على فنون التعبير كافة، وهذا أيضا من أسباب إعجازه، فالمتأمل لآيات الكتاب العزيز وما نوع في مخاطباته من فنون التعبير، خطابا مباشرا أو غير مباشر ، ترغيبا أو ترهيبا، أسلوبا خطابيا أو سردا قصصيا ، حوارا أو مناظرة، إلى غير ذلك من أفانين القول، يجد "أن القرآن جاء بهذا الأسلوب الرائع الخلاب الذي اشتمل على تلك الخصائص العليا والتي لم تجتمع بل لم توجد خاصة واحدة منها في كلام على نحو ما وجدت في القرآن وكل ما كان من هذا القبيل فهو لا شك معجز خصوصا أن النبي صلى الله عليه وسلم تحدى به فأعجز أساطين الفصحاء وأعيا مقاويل البلغاء وأخرس ألسنة فحول البيان من أهل صناعة اللسان وذلك في عصر كانت القوى فيه قد توافرت على الإجادة والتبريز في هذا الميدان وفي أمة كانت مواهبها محشودة للتفوق في هذه الناحية وإذا كان أهل الصناعة هؤلاء قد عجزوا عن معارضة القرآن فغيرهم أشد عجزا وأفحش عيا، وها قد مرت على اللغة العربية من عهد نزول القرآن إلى عصرنا هذا أدوار مختلفة بين علو ونزول واتساع وانقباض وحركة وجمود وحضارة وبداوة والقرآن في كل هذه الأدوار واقف في عليائه يطل على الجميع من سمائه وهو يشع نورا وهداية ويفيض عذوبة وجلالة ويسيل رقة وجزالة ويرف جدة وطلاوة ولا يزال كما كان غضا طريا يحمل راية الإعجاز ويتحدى أمم العالم في يقين وثقة قائلا في صراحة الحق وقوته وسلطان الإعجاز وصولته: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً}" [الإسراء : ٨٨].[٣]

وهذه الإشارة في هذه النقطة من التمهيد كافية أيضا لأقول: إن أفانين القول وتعابيره التي سلكها القرآن الكريم ترتقي إلى الحد الذي تعد فيه كل واحدة منها معجزة برأسها تضاف إلى معجزات هذا الكتاب الخالد، ففن الترغيب والترهيب معجزة برأسه ، وفن الحوار والمناظرة معجزة برأسه، وفن القصة معجزة برأسها، وهكذا، ويجدر بالباحثين الذين يتناولون هذه الفنون بالدراسة إظهار هذا الوجه في دراساتهم مع إظهار تميز القرآن في هذا الجانب عن غيره من كلام الناس أو كلام الله المنزل على الأمم السابقة على السواء.

وعلى هذا النحو أسعى إلى بيان هذا الجانب واضحا في الفن القصصي في القرآن الكريم فإلى تلك الغاية من البداية والمبحث التالي أتناول فيه التعريفات الخاصة بالبحث:

---

[٣] السابق (٢ / ٣٣٣).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

- ثانيا: القصة في التعريف اللغوي والاصطلاحي، وفي القرآن الكريم:

أ- تعريف القصة في اللغة:

القص : تتبع الأثر. يقال : قصصتُ أثره : أي تتبعته ، والقصص مصدر ، قال تعالى : (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) [الكهف: ٦٤] أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به . وقال على لسان أم موسى: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) [القصص: ١١] أي تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه.

والقصص كذلك: الأخبار المتتبعة قال تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) [آل عمران: ٦٢]، وقال: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [يوسف: ١١١] والقصة : الأمر ، والخبر، والشأن ، والحال ، وقد اقتصيت الحديث : رويته على وجهه. والقِصص - بكسر القاف- جمع القصة التي تكتب والأقصوصة مفرد أقاصيص: القصة القصيرة . [٤]

ب- تعريف القصة في الاصطلاح :

وإذا نظرنا إلى القصة في الاصطلاح الأدبي وجدنا الأدباء المعاصرين يعرفون القصة تعريفات شتى لعل أقربها إلى جوهر القصة الحديثة هو قولهم:
هي " حكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معاً ، وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي ". [٥]
إذًا فالقصة - عامة - هي "الإخبار عن قضية ذات مراحل يتبع بعضها بعضًا". [٦]

جـ - تعريف القصة في القرآن الكريم:

وهذه هي دلالة التعريف اللغوي ومنه يظهر الارتباط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي وإلى بعض ذلك نحت القصة القرآنية.
ف"قصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية ، والنبوات السابقة ، والحوادث الواقعة وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي ، وتاريخ الأمم ، وذكر البلاد والديار. وتتبع آثار كل قوم ، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه". [٧]

---

[٤] مباحث في علوم القرآن - (ص ٣١٦) مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
[٥] تجديد الصحاح في اللغة والعلوم، الجوهري، دار الحضارة العربية بيروت، ٢/ ٣١٣ – ٣١٤، عن التوجيهات الإلهية للفرد المسلم من خلال القصص القرآني في سورة القصص (ص٣).

[٦] مباحث في علوم القرآن (ص ٣١٧) مناع القطان.
[٧] نفسه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

فلا مجال للخيال هنا إنما القصة القرآنية واقع، ولا مجال للهزل فهي جد محض، نعم تلوح أمارات البسمة ونسمات المرح والفرح خلال أجوائها لكنها جادة في غايتها وهدفها جادة في وسائلها وطرائقها جادة في تناولها، وهي نعم تأخذ بخيال مستمعيها إلى حيث الزمان والمكان البعيدين ولكنها واقعية كل الواقعية حقيقية كل الحقيقة، لا يداخلها الكذب أو الزور ولا تقارف هي الإفك أو البهتان.

ذلك أن " القصص القرآني بوصفه أعظم المصادر وأوثقها في أيدي العرب لمنهج متميز في قص القصص باللغة العربية ، تكفي للكشف عن الفارق الهائل بين القصص القرآني وقصص الشعوب واللغات الأخرى من الأساطير والروايات والمسرحيات، بلغ هذا الفارق حد ما بين الجد والهزل وما بين الحق والكذب[٨]

فالفارق شاسع وفي جميع المجالات و المقاصد والأغراض ويتضح أن الغاية أن يكون ذلك القصص نفسه هادياً للمؤمنين إلى الطريق الصحيح ، والصراط المستقيم .

فالله تعالى يقول:{ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف : ٣] ، ثم يقص الله تعالى قصة يوسف وإخوته ؛ فالقصص الحسن هنا ليس الرواية المتخيلة من الواقع وليست الرواية المصنوعة بمحاكاة الواقع ، إنما هي التاريخ والخبر وحقيقة ما كان ، إنها مشاهد التاريخ في حركةٍ وصورٍ وأصواتٍ ، ونجد أن البطل الحقيقي في القصص القرآني ليس هذا الإنسان بذاته الذي تدور به أو من حوله أحداث الخبر ؛ فالبطل هو القانون التاريخي المرتبط بعقيدة الإنسان وأخلاقه وسلوكه ، والبطل هو هذا القانون الذي تظهر نتائجه في أقوال وأفعال الإنسان المؤمن أو الكافر في الجماعة التي يعبر عنها أو التي يعارضها ؛ فالبطل مثلاً ليس يعقوب عليه السلام وأولاده ، إنما هو "الهداية" في يعقوب عليه السلام و" الحسد " في أولاده ، والبطل أيضاً ليس يوسف عليه السلام وامرأة العزيز ؛ بل هو " الطهارة والأمانة " في يوسف عليه السلام، و"الشهوة" في امرأة العزيز، وهكذا في مختلف المواقف يكون الإنسان بهداية الإيمان أو بضلالة الكفر رمزاً لقانون يحكم [٩]

وعلى ما مضى يتضح أن الإنسان في قصص القرآن لم يكن شيئاً مذكوراً من أجل استعراض آلاف الاحتمالات المتخيلة لقوته أو لضعفه ؛ بل هو إنسان مذكور داخل جماعته يحمل قيماً ومبادئ ، ونرى أن الأسوة لغيره ، وهو القدوة لمن يقتدي به ؛ لأنه أعطى قانون البرهان العقلي[١٠]

وهكذا يرى المتأمل للقصص القرآني تميزه عن غيره من القصص وما شابهها من الفنون المستحدثة كالرواية والمسرحية والأقصوصة شأنه في ذلك شأن القرآن الكريم في تميزه في كافة شئونه، وسنعرض لمميزات القصص القرآني وخصائصه ثم المقارنة بينه وبين غيره بعد فصول من القول.

---

[٨] قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح: أحمد موسى سالم، بيروت، دار الجيل، ص٢١١. عن التوجيهات الإلهية ص٤.

[٩] السابق، ص ٢١٢.

[١٠] يوسف في القرآن: أحمد ماهر ، الإسكندرية ، ١٩٧١م ، ص٩٥. عن التوجيهات الإلهية ص٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

ثالثًا: أنواع القصص القرآني

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أنواع القصص القرآني من حيث التكرار وعدمه.

المبحث الثاني: أنواع القصص القرآني من حيث موضوعه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

المبحث الأول: أنواع القصص القرآني من حيث التكرار وعدمه.

المتأمل للقصص في القرآن الكريم يجده أحيانا يتكرر بحيث ترد القصة الواحدة مرات عديدة وأحيانا لا يتكرر بحيث تأتي القصة مرة واحدة وهذا العرض فيه من الحكمة ما يمكن تلمسه بيسر وسهولة يقول العلامة ابن عثيمين: "يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع ، فالقصة الواحدة قد يتعدد ذكرها في القرآن، ومن القصص القرآنية ما لا يأتي إلا مرة واحدة مثل قصة لقمان وأصحاب الكهف ومنها ما يأتي متكررًا حسب ما تدعو إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر. [١١]

- **بعض الحكم من وراء تكرار القصص القرآني:**

وقد جاء هذا التكرار من قبيل حكم بالغة لا تخفى على المتدبر فإن القرآن المنزل من لدن حكيم عليم تنضح آياته بل كلماته بل حروفه بالحكمة الناصعة فما من القرآن حرف إلا وضع في موضعه الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي، وتلك عين الحكمة في أعلى معانيها، ومن الحكم التي رصدها العلماء من وراء تكرار القصة الواردة في القرآن الكريم ما يلي:

١- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة ، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر ، وتصاغ في قالب غير القالب ، ولا يمل الإنسان من تكرارها ، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

٢- قوة الإعجاز، فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي .

٣- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس ، فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام .

كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون ، لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل، مع أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها .

٤- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة ، فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام ، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال[١٢]

٥- بيان أهمية تلك القصة لأن تكرارها يدل على العناية بها.

---

[١١] أصول في التفسير، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٥٤-٥٥).
[١٢] مباحث في علوم القرآن للقطان (٣١٨-٣١٩).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

٦- مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالبًا فيما أتى من القصص في السور المكية والعكس فيما أتى في السور المدنية .

٧- ظهور صدق القرآن وأنه من عند الله حيث تأتي هذه القصص متنوعة بدون تناقض.[١٣]

ولا يخفى أن المستقصي يجد من الحكم أكثر من هذا، لكنها الإشارة إلى البعض، وأسرار القرآن –كما هو معلوم- مما لا يدرك جميعها العقول، وحسب هذه العقول أن تتعرف في كل زمان على ما تعطيه فهومها وما تمنحها إياه معارفها وعلومها.

[١٣] أصول في التفسير للعثيمين (٥٤-٥٥).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

المبحث الثاني: أنواع القصص القرآني من حيث موضوعه.

هذا تنوع آخر في القصص القرآني، فإذا كان التنوع الأول بحسب التكرار وعدمه فهذا التنوع بحسب موضوع هذا القصص، وأشير إليه إشارة سريعة فيما يلي:

القصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين. كقصة نوح ، وإبراهيم ، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة ، وأشخاص لم تثبت نبوتهم ، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت ، وابني آدم ، وأهل الكهف ، وذي القرنين ، وقارون ، وأصحاب السبت ، ومريم، وأصحاب الأخدود ، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله (كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران ، وغزوة حنين وتبوك في التوبة ، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب ، والهجرة ، والإسراء ، ونحو ذلك) .[١٤]

[١٤] مباحث في علوم القرآن (ص ٣١٨) مناع القطان.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

رابعا: أغراض القصص القرآني:

سيقت القصة القرآنية لعدة أغراض تجمعها غاية واحدة هي الغاية العامة من القرآن كله ألا وهي الهداية بمعنى الدلالة والبيان والتوضيح للطريق المستقيم.

- **معنى الغرض:**

والغرض هو القصد الذي نزلت من أجله القصة القرآنية، وهو الذي من أجله بنيت على صورة خاصة وعرضت بأسلوب خاص.

- **دور القصة القرآنية في معالجة قضايا المجتمع:**

ونجد القصة القرآنية وهي تؤدي هذه الأغراض مجتمعة أو بعضها تؤدي إلى جانب ذلك "الوظيفة التي تؤديها القصة في المجتمع وتخدم بها الحياة والأحياء، وهي وظيفة تؤديها جميع الفنون (....) هذه الوظيفة نستطيع عدها غرضاً عاماً للقصة أدته في المجتمع العربي على اختلاف ألوانه، وعلى ما فيه من مؤيدين ومعارضين". [١٥]

- **جمع التعبير القرآني بين الغرض الديني والغرض الفني**:

أدت القصة هذا الغرض في المجتمع العربي إلى جانب أغراض كثيرة تؤديها القصة القرآنية ف"ليست القصة القرآنية عملاً فنيًا مطلقًا مجردًا عن الأغراض التوجيهية ، إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق أغراضه الدينية الربانية ، فهي إحدى الوسائل لإبلاغ الدعوة الإسلامية وتثبيتها . والتعبير القرآني مع ذلك يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني ، وبهذا امتازت القصة القرآنية بميزات تربوية وفنية (...) فالقصص القرآني يَجعَل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني ، وإثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية . [١٦]

- **أظهر أغراض القصص في القرآن الكريم:**

وباستقراء قصص القرآن نجد أن أظهر وأهم الأغراض التي سيقت لأجلها هي:

١- تخفيف الضغط على النبي صلى الله عليه وسلم

فهذا الضغط كان قوياً وعنيفاً، وكانت أسبابه واضحة جلية؛ من كيدٍ للنبي والقرآن والدعوة للإسلام، وهذا أثر بطريقة مباشرة في نفس النبي، ودفعه إلى أن يضيق صدراً؛ فقد قال الله تعالى:{ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} ، وقال أيضاً: { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ } ، لقد كان لما يقوله الكفار أثر بالغٌ في نفس النبي ونفس أتباعه وقد قال الله تعالى: { فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} فإن كنت "يا محمد صلى الله عليه وسلم"{ في شك مما أنزلنا إليك}من القصص فرضاً{ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب}أي التوراة {من قبلك}فإنه ثابت عندهم يخبرونك بصدقه، وقد قال قتادة بن دعامة: بلغنا أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال:{ لا أشك ولا أسأل} ،إن هذا الضغط لم يقف عند حده ؛

---

[١٥] القرآن نظرة عصرية جديدة، عبد المنعم الجداوي ص٦٠. عن التوجيهات الإلهية ص٥.

[١٦] القصص في القرآن الكريم ص ١١، إسلام محمود دربالة، بدون بيانات.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

بل تجاوز ذلك إلى ما هو أبعد مدى ، قال الله تعالى: { فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ }، وقال أيضاً: { فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ }، ونجد أن القرآن صرح بهذا الغرض وذلك في قوله تعالى :{ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}.

نتبين من هذه الآية أن الغرض هو التثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم وموعظة وذكرى للمؤمنين.[١٧]

٢ - توجيه العواطف القوية الصادقة نحو عقائد الدين الإسلامي ومبادئه ، ونحو التضحية بالنفس والنفيس في سبيل كل ما هو حق ، وكل ما هو خير ، وكل ما هو جميل.

ولعل هذه العواطف هي التي تدفع إلى النشاط للدعوة ، كما تجعل الإنسان يستعذب الألم ويتحمل الأذى في سبيلها ، ومن هنا يكون التوجيه نحو القيم الجديدة والإيمان بها ، ثم الدفاع عنها ، والعمل على حثِّ الناس على الإيمان بها إيماناً لا تزعزعه الحوادث، وأيضاً تكوين عواطف قوية وصادقة ضد ما هو قبيح وذميم من الأشياء والعادات والأعمال.

ومن أهم الأمور التي وجه القرآن العواطف نحوها مشكلات البعث والوحدانية، وبشرية الرسل، وتأييد بعضهم بالمعجزات [١٨]، وإثبات الوحي والرسالة، وبيان أن الدين كله من عند الله، من عهد نوح عليه السلام إلى عهد محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة،والله واحد رب الجميع[١٩]

أما الأشياء التي وجه القرآن العواطف ضدها فهي كثيرةٌ ومتنوعة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر:

أ - بخس الناس أشياءهم ، وتطفيف المكيال والميزان ، والزنا والربا ، والسرقة والنميمة .

ب - " إبليس " - لعنه الله - فقصة إبليس مع آدم قصة بليغة وهي إحدى نماذج القصص القرآني .

٣- الإيحاء أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول حقاً، وتأييده بما اصطفاه الله من الرسالة ، من التحدي بالغيب ، والإعجاز بمعرفة تفاصيلٍ لا يطلع عليها أحدٌ إلا علام الغيوب.

ولهذا ناحيتان :

أ - بلوغ قمة التوحيد والإيمان والتسليم والتوكل على الله اعتزازاً به .
مما يحقق الأسوة الصالحة والقدوة الطيبة ؛ لتملأ النفس المطمئنة بالعزة بالله واللجوء إلى حماه .

ب - تعليم الأدب في الحوار والرقة والتلطف والعطف ليتعلم الداخلون في الإسلام تلك القيم، ويعيشونها.[٢٠]

---

[١٧] بحوث في قصص القرآن، عبد الحافظ عبد ربه ، دار الكتاب اللبناني، ص ٨٩.عن التوجيهات الإلهية ص ٦.
[١٨] الفن القصصي في القرآن، ص ٢٠٠. عن التوجيهات الإلهية.
[١٩] روح الدين الإسلامي، ص ١٥٩. عن التوجيهات الإلهية.
[٢٠] دروس وعظات وعبر في قصة يوسف عليه السلام، عبد الرحمن عبد القادر المعلمي ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ، دار القمة لتوزيع الكتاب ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ ، ص ٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

ومن ناحية أحرى تصديق الأنبياء السابقين ، وتخليد مآثرهم ، وبيان نعمة الله تعالى عليهم كقصص سليمان وداود وأيوب وإبراهيم عليهم السلام وغيرهم ؛إذ وردت حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء عليهم السلام برزت فيها النعمة من الله في مواقف شتى .

٤- بيان قدرة الله على الخوارق ، وبيان عاقبة الاستقامة والصلاح ، وعاقبة الانحراف والإفساد، وبيان الحكمة الإنسانية العاجلة ، والحكمة الكونية البعيدة الآجلة

وذلك كما في قصة موسى عليه السلام والخضر. وقصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه [البقرة:٢٥٩]، وقصة خلق آدم [البقرة من ٣٣ إلى ٣٧] ، [وآل عمران : ٥٩]، وقصة إبراهيم والطير الذي آب إليه بعد أن جعل على كل جبل جزءًا منه قال تعالى: (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) [البقرة: ٢٦٠] .

وهذا بيان تربوي "يثير انفعال الدهشة والخوف من الله لتربية عاطفة الخشوع والخضوع والانقياد ونحوها من العواطف الربانية".

٥- إثبات الوحي والرسالة.

وذلك عن طريق "تحقيق القناعة بأن محمدا وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يعرف عنه أنه يجلس إلى أحبار اليهود والنصارى ، يتلو على قومه هذه القصص من كلام ربه ، وقد جاء بعضها في دقة وإسهاب ، فلا يشك عاقل في أنها وحي من الله ، وأن محمدا رسول الله يبلغ رسالة ربه ، والقرآن ينص على هذا الغرض نصًا في مقدمات بعض القصص أو في أواخرها فقد جاء في أول سورة يوسف : (إِنّا أَنْزَلْناهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلونَ ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هذا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ) [يوسف : ٢و٣] وجاء في سورة هود بعد قصة نوح: (تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نوحيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا) [هود : ٤٩]

إن "أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله عز وجل لقوله تعالى (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ [إبراهيم : ٩]".[٢١]

٦- ومن أغراض القصة القرآنية : بيان أن الدين كله من عند الله.

جاءت القصص القرآنية من أجل " إيضاح أسس الدعوة إلى الله ، وبيان أصول الشرائع التي يبعث بها كل نبي: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء : ٢٥].[٢٢]

---

[٢١] أصول في التفسير، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص ٥٣-٥٤).
[٢٢] مباحث في علوم القرآن (ص ٣١٧).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

٧- **وأن الله ينصر رسله والذين آمنوا ويرحمهم وينجيهم من الغرق والكروب** ، من لدن آدم ونوح إلى عهد محمد، وأن المؤمنين كلهم أمه واحدة والله الواحد رب الجميع .

وكثيرًا ما وردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة ، معروضة عرضًا سريعًا بطريقة خاصة لتؤيد هذه الحقيقة ، كما في سورة الأنبياء ، حيث ورد ذكر : موسى وهارون ، ثم لمحة موجزة عن قصة إبراهيم ولوط ، وكيف نجاهم الله وأهلك قومهما ، وقصة نوح ، وجانب من أخبار داود وسليمان ، وما أنعم الله عليهما ، وأيوب حين نجاه الله من الضر ، وورد ذكر إسماعيل وإدريس وذي الكفل وكلهم من الصابرين الصالحين . وذكر الله لنا : (وَذا النّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِبًا) [الأنبياء : ٨٧] قال تعالى (فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذلِكَ نُنْجي الْمُؤْمِنينَ) [الأنبياء : ٨٨] ثم قال تعالى : (وَزَكَرِيّا إِذْ نادى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْني فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثينَ) [الأنبياء : ٨٩] (فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كانوا يُسارِعونَ في الْخَيْراتِ وَيَدْعونَنا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكانوا لنا خاشِعينَ) [الأنبياء : ٩٠] ويختم الله هذه السلسلة من الأنبياء بخبر مريم وابنها عيسى عليهما السلام (وَالَّتي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فيها مِنْ روحِنا وَجَعَلْناها وَابْنَها آيةً لِلْعالَمينَ) [الأنبياء :٩١] ثم يخاطب الله مباشرة جميع أنبيائه ورسله وأتباعهم بقوله (إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنا رَبُّكُمْ فَاعْبُدونِ) [الأنبياء : ٩٢] .

فتبين بهذه الآية الكريمة تقرير الغرض الأصيل من هذا الاستعراض الطويل وهو أن جميع الأنبياء يدينون دينًا واحدًا ويخضعون لرب واحد يعبدونه وحده لا يشركون به شيئًا ، وعندما نستعرض خبر كل نبي نجد أن الله قد شد أزره ونصره ونجاه من الكرب الذي نزل به ، أو المأزق الذي أوشك أن يقع فيه ، كما نجى ذا النون (يونس) واستجاب لزكريا ، وكما نجى إبراهيم وقد أوشك أن يحترق بالنار ؛ وأنه سبحانه دائمًا ينعم على رسله والذين آمنوا إذا صبروا وصدقوا ، كما أنعم على داود بالنصر ، وسليمان بالملك ، فشكروا نعمة ربهم .

٨- **وفي هذا شد لأزر المؤمنين ، وتسلية لهم عما يلاقون من الهموم والمصائب ، وتثبيت لرسول الله ومن تبعه من أمته ، وتأثير في نفوس من يدعوهم القرآن إلى الإيمان وأنهم إن لم يؤمنوا لا محالة هالكون ، وموعظة وذكرى للمؤمنين**:

وقد صرح القرآن بهذا المعنى في قوله تعالى (وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ هذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنينَ) [هود : ١٢٠] .وجاء في سورة العنكبوت لمحة خاطفة عن قصة كل نبي ، مختومة بالعذاب الذي عذب به المذنبون من قومه حتى ختمت جميع القصص المجملة بقوله تعالى : (فَكُلاً أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مِنْ خَسَفْنا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا ، وَما كانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمونَ) [العنكبوت : ٤٠] فعلى المربي أن يستحضر مكان الموعظة والذكرى من كل قصة ، ليحاور الطلاب حوارًا يوجههم إلى معرفتها والتأثر بها والعمل بمقتضاها .

إن " تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده ، وخذلان البطل وأهله" من أولى المقاصد التي سيقت لها القصة في القرآن الكريم إن لم تكن أولاها.

٩- **ومن أغراض القصة في التربية الإسلامية :** تنبيه أبناء آدم إلى خطر غواية الشيطان [الأعراف : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠]، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم إلى أن تقوم الساعة، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى ، وأدعى إلى الحذر الشديد من كل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

هاجسة في النفس تدعو إلى الشر ، ولما كان هذا موضوعا خالدا فقد تكررت قصته أتم في مواضع شتى ، مما يدعو المربي إلى الإلحاح على هذا الموضوع وتوجيه الطلاب إلى الحذر من غواية الشيطان في كل مناسبة ملائمة .

١٠- **تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم .**

١١- **مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى ، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل**

وذلك كقوله تعالى : (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [آل عمران: ٩٣].

١٢- **القصص ضرب من ضروب الأدب ، يصغى إليها السامع ، وترسخ عبره في النفس : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [يوسف: ١١١].**

١٣- **بيان حكم الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص** لقوله تعالى : وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ [القمر : ٤ ، ٥].

١٤- **بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين** لقوله تعالى عن المكذبين : (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) [هود : ١٠١].

١٥- **بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين** لقوله تعالى : إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ) [القمر : ٣٤ ، ٣٥].

١٦- **تسلية النبي عما أصابه من المكذبين له** لقوله تعالى : (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦) [فاطر : ٢٥ - ٢٧]).

١٧- **ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه** إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين وانتصار من أمروا بالجهاد لقوله تعالى : (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ [الأنبياء : ٨٨]) .

١٨- **تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم** لقوله تعالى : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا) [محمد : ١٠]. [٢٣]

---

[٢٣] التصوير الفني في القرآن، سيد قطب ص ١١٧ - ١٢٨، دار المعارف بمصر، باختصار، والقصص القرآني (ص ٤)، مباحث في علوم القرآن - (١ / ٣١٧)، وغيرها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

-

- خامسا: خصائص القصص القرآني.

توفرت للقصة القرآنية عدة خصائص أشير إليها إشارة موجزة في هذه السطور:

إن أكثر خصائص القصة القرآنية وضوحاً هي[٢٤] :

أولاً - الإيجاز :

إن خاصة الإيجاز المعجز فيما أورده القرآن الكريم من أخبار الأمم وقصص الرسل والأيام الغابرة من الخصائص الجديرة بأن تلفت نظر الباحث ليتعمق بها بكل ما فيها من آلام وآمال وعبر ومواقف عظيمة وعصيبة .[٢٥]

ثانياً - وحدة الغاية في كل ما ورد في القرآن الكريم من أخبار وأنباء وقصص[٢٦] فهي دعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى .

وهذه الغاية تتكون من عناصر أهمها :

١- أن الله واحد لا شريك له .

٢- أن قدرة الله سبحانه وتعالى عظيمة غير متناهية .

٣- أن الرسل عباد للرحمن يرسلهم على الناس لتهديهم إلى الدين القويم وهؤلاء الرسل أسرة واحدة يكمل بعضهم بعضاً .

٤- أن هؤلاء الرسل لبشريتهم حينما يدعون الناس إلى الدين الصحيح يجدون صداً وعزوفاً ، ثم لا يلبثان أن يصبحا عداوة وكرهاً .

٥- أن الله جل جلاله يؤيد رسله بمعجزات لإثبات صدقهم .

٦- أن الرسل يصبرون أمام جحود وعناد الكافرين[٢٧]

٧- ولعل الغاية الكبرى والهدف الأعظم للقصة القرآنية هو :

إعجاز القرآن ، وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

٨- تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتقوية نفوس صحبه وإخوانه من خلال نصر الله تعالى لرسله وأوليائه وزجر الضالين والمعاندين وزحزحتهم عن مواقفهم فتتأثر النفوس بحسب ما تحتاج إليه . إذ يتولى عليها بيان نصر المؤمنين وخذلان الكافرين " وإحقاق الحق وإزهاق الباطل ويتكرر رفع راية العدل وسحق قوة الظلم من خلال القصص التي يذكرها القرآن ، بل بما يقع فيه التصريح بهذا التنبيه وإثارة هذه العقبة في كثير من مناسبات القصص[٢٨]

---

[٢٤] التوجيهات الإلهية للفرد المسلم من خلال القصص القرآني في سورة القصص (ص ٣) .

[٢٥] رضوان ، فتحي ، القصة القرآنية ، القاهرة -دار الهلال ١٩٧٨ م ، ص ١٢ . عن التوجيهات الإلهية ص٣.

[٢٦] نفسه ، ص ١٢ .

[٢٧] نفسه ، ص ١٢.

[٢٨] عتر ، نور الدين ، القرآن الكريم والدراسات الأدبية ، ص٢٢٢. عن التوجيهات الإلهية ص ٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

٢ - بث القيم الدينية الواضحة وترسيخ أسس الدين القويم بما يقع في طيات القصص من حوار ومواعظ يصغي إليها السامع ويتابعها القارئ سواء أكان موافقاً أو مخالفاً مؤمناً أو جاحداً لما في طبيعة القصص القرآنية من التشويق والإثارة . [٢٩]

إن القرآن الكريم اصطفى من الأحداث التاريخية الهامة في حياة المخلوقات ما يخدم الدعوة الإسلامية ويرسخ عقيدتها ويوجه المسلم توجيهاً صحيحاً ويفتح للناس طرقاً للعبرة والعظة منها كما أنه تخير من هذه الأحداث ما رآه صالحاً لبناء الصورة المحققة لهذه الغاية . [٣٠]

ثالثا: الواقعية:

فالقرآن لا يتحدث عن أساطير ولا يحكي خيالات أو بنات أفكار لا صحة لها ولا علاقة لها بالواقع، بل كل القصص التي حكاها لنا القرآن الكريم قد حدثت فعلا وباشر أبطالها أحداثها على أرض الحياة، وفي دنيا الناس.

أقول هذا لأن بعض الأدباء قد أنكر أن تكون تلك القصص أحداثا واقعية، واعتبرها أنباء وأخبارا على سبيل التسلية والتسرية من غير ضرورة لحدوثها على أرض الواقع، وقد قال رجل سموه عميد الأدب العربي، وما هو إلا بقعيد الأدب العربي، قال عن قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: "للقرآن أن يحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل كما شاء فلسنا ملزمين بتصديق وجودهما وإن أخبر القرآن بذلك".

وهذا القول يحمل دلالات خطيرة منها - ونترك الحكم على دين الرجل إلى علماء الفتوى – **أن الرجل ليس عنده من الذوق الأدبي، ولا الحس العربي ما يجعله يفرق بين القصة العربية الإنشائية مهما كان قدر كاتبها وقوته، وبين النص المحكم الذي لا يستطيع البلغاء مهما أوتوا من قوة الوصول إلى شيء من مثله.**

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: -كما في أصول التفسير ص ٤٧- " قصص القرآن أصدق القصص ؛ لقوله تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآن) (يوسف: من الآية ٣) وذلك لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى، وأنفع القصص ، لقوله تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَاب)(يوسف: من الآية ١١١) . وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق .

---

[٢٩] نفسه ص٢٢٢.

[٣٠] الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، بيروت لبنان ١٩٧٥ ص٧٣. عن التوجيهات الإلهية ص ٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

- **سادسا: التربية بالقصص القرآني.**

للقصة في التربية الإسلامية وظيفة تربوية لا يحققها لون آخر من ألوان الأداء اللغوي.

ذلك أن القصة القرآنية تمتاز بميزات جعلت لها آثارًا نفسية وتربوية بليغة، محكمة، بعيدة المدى على مر الزمن، مع ما تثيره من حرارة العاطفة ومن حيوية وحركية في النفس، تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه وتجديد عزيمته بحسب مقتضى القصة وتوجيهها وخاتمتها، والعِبرَةِ منها.[٣١]

- **أثر القصص القرآني في التربية والتهذيب:**

مما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف - وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، وتسترسل مع سياقها المشاعر لا تمل ولا تكل، ويرتاد العقل عناصرها فيجني من حقولها الأزاهير والثمار.
والدروس التلقينية والإلقائية تورث الملل، ولا تستطيع الناشئة أن تتابعها وتستوعب عناصرها إلا بصعوبة وشدة. وإلى أمد قصير.
ولذا كان الأسلوب القصصي أجدى نفعًا، وأكثر فائدة.
والمعهود -حتى في حياة الطفولة- أن يميل الطفل إلى سماع الحكاية، ويصغي إلى رواية القصة، وتعي ذاكرته ما يُروى له، فيحاكيه ويقصه.
هذه الظاهرة الفطرية النفسية ينبغي للمربين أن يفيدوا منها في مجالات التعليم، لا سيما التهذيب الديني، الذي هو لب التعليم، وقوام التوجيه فيه.
وفي القصص القرآني تربة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزاد تهذيبي، من سيرة النبيين، وأخبار الماضين وسُنة الله في حياة المجتمعات، وأحوال الأمم. ولا تقول في ذلك إلا حقًّا وصدقًا.
ويستطيع المربي أن يصوغ القصة القرآنية بالأسلوب الذي يلائم المستوى الفكري للمتعلمين، في كل مرحلة من مراحل التعليم. وقد نجحت مجموعة القصص الديني للأستاذين "سيد قطب، والسحار" في تقديم زاد مفيد نافع لصغارنا نجاحًا معدوم النظير، كما قدم "الجارم" القصص القرآني في أسلوب أدبي بليغ أعلى مستوى، وأكثر تحليلًا وعمقًا، وحبذا لو نهج آخرون هذا النهج التربوي السديد.[٣٢]

---

[٣١] القصص في القرآن الكريم (ص ٦).
[٣٢] مباحث في علوم القرآن ص ٣٢٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

- **الميزات التربوية للقصص القرآني** [٣٣]:

تتميز القصة في القرآن الكريم من ناحية التربية بما يلي:

١) تشد القصة القارئ، وتوقظ انتباهه، دون توان أو تراخ،

فتجعله دائم التأمل في معانيها والتتبع لمواقفها، والتأثر بشخصياتها وموضوعها حتى آخر كلمة فيها.

ذلك أن القصة تبدأ غالبًا، وفي شكلها الأكمل، بالتنويه بمطلب أو وعد أو الإنذار بخطر، أو نحو ذلك مما يسمى عقدة القصة، وقد تتراكم، قبل الوصول إلى حل هذه العقدة، مطالب أو مصاعب أخرى، تزيد القصة حبكًا، كما تزيد القارئ أو السامع شوقًا وانتباهًا، وتلهفًا على الحل أو النتيجة.
ففي مطلع قصة يوسف مثلاً، تعرض على القارئ (رؤيا يوسف عليه السلام) يصحبها وعد الله ، على لسان أبيه ، بمستقبل زاهر ، ونِعَم من الله يسبغها على الأسرة الفقيرة المتعثرة ، الداعية إلى الله .
وتتتابع المصائب والمشكلات على بطل القصة (يوسف عليه السلام) ويتابع القارئ اهتمامه ينتظر تحقيق وعد الله ، ويترقب انتهاء هذه المصائب والمشكلات بتلهف .

٢) تتعامل القصة القرآنية والنبوية مع النفس البشرية في واقعيتها الكاملة ،

متمثلة في أهم النماذج التي يريد القرآن إبرازها للكائن البشري ، ويوجه الاهتمام إلى كل نموذج بحسب أهميته ، فيُعرض عرضًا صادقًا يليق بالمقام ويحقق الهدف التربوي من عرضه ، ففي قصة يوسف يعرض نموذج الإنسان الصابر على المصائب في سبيل الدعوة إلى الله (في شخص يوسف) ، ونموذج المرأة المترفة تعرض لها حبائل الهوى فملأ قلبها الحب والشهوة ، ويدفعها إلى محاولة ارتكاب الجريمة ، ثم إلى سَجن إنسان بريء مخلص ، لا ذنب له إلا الترفع عن الدنايا والإخلاص لسيده ، ومراعاة أوامر ربه .
ونموذج إخوة يوسف : تدفعهم هواتف الغيرة والحسد والحقد والمؤامرة والمناورة ومواجهة آثار الجريمة والضعف والحيرة أمام هذه المواجهة .
ونموذج يعقوب : الوالد المحب الملهوف والنبي المطمئن الموصول . يعرض القرآن كل هذه النماذج البشرية عرضًا واقعيًا نظيفًا من غير إفحاش ولا إغراء بفاحشة أو جريمة ، كما يفعل مؤلفو القصص التي يسمونها واقعية أو طبيعية ، من روادِ جاهلية القرن العشرين ، ذلك أن من أهم غايات القصة القرآنية : التربية الخلقية عن طريق علاج النفس البشرية علاجًا واقعيًا .
فالقصة القرآنية ليست غريبة عن الطبيعة البشرية ، ولا محلقة في جو ملائكي محض ، لأنها إنما جاءت علاجًا لواقع البشر ، وعلاج الواقع البشري لا يتم إلا بذكر جانب الضعف والخطأ على طبيعته ، ثم بوصف الجانب الآخر الواقعي المتسامي الذي يمثل الرسل والمؤمنين ، والذي تؤول إليه القصة بعد الصبر والمكابدة والجهاد والمرابطة ، أو الذي ينتهي عنده المطاف لعلاج ذلك الضعف والنقص ، والتردي البشري في مهاوي الشرك أو حمأة الرذيلة ، علاجًا ينهض بالهمم ، ويدفع بالنفس للسمو ، ما استطاعت ، إلى أعلى القمم ، حيث تنتهي القصة بانتصار الدعوة الإلهية ، ووصف النهاية الخاسرة للمشركين الذي استسلموا إلى الضعف والنقص ، ولم يستجيبوا لنداء ربهم فيزكوا أنفسهم .

---

[٣٣] القصص في القرآن الكريم - (ص ٦) وقال مؤلفه: (اعتمدت في بعض هذه الميزات على قصة يوسف من خلال تفسير (سيد قطب): (في ظلال القرآن) ص ١٩٤٩ إلى ١٩٥١ وغيره).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

٣) **تربي القصة القرآنية العواطف الربانية** وذلك :

أ) **عن طريق إثارة الانفعالات** كالخوف والترقب ، وكالرضا والارتياح والحب ، وكالتقزز والكره ، كل ذلك يثار في طيات القصة بما فيه من وصف رائع ووقائع مصطفاة ، فقصة يوسف مثلاً تربي الصبر والثقة بالله ، والأمل في نصره ، بعد إثارة انفعال الخوف على يوسف ، ثم الارتياح إلى استلامه منصب الوزارة .

ب) **وعن طريق توجيه جميع هذه الانفعالات** حتى تلتقي عند نتيجة واحدة هي النتيجة التي تنتهي إليها القصة ، فتواجه مثلاً حماسة قارئ القصة نحو يوسف وأبيه ، حتى يلتقيا في شكر الله في آخر القصة ، ويوجه بُغْض الشر الذي صدر عن إخوة يوسف حتى يعترفوا بخطئهم ويستغفر لهم أبوهم في آخر القصة ، وهكذا ...

ج) **وعن طريق المشاركة الوجدانية** حيث يندمج القارئ مع جو القصة العاطفي حتى يعيش بانفعالاته مع شخصياتها ، ففي قصة يوسف يعتري القارئ خوف أو قلق عندما يراد قتل يوسف ، وإلقاؤه في الجب ، ثم تنسرح العواطف قليلاً مع انفراج الكربة عنه ، ثم يعود القارئ إلى الترقب عندما يدخل يوسف دار (العزيز) وهكذا يعيش القارئ مع يوسف في سجنه وهو يدعو إلى الله ، حتى يفرح بإنقاذه ، ثم بتوليه وزارة مصر ، وبنجاة أبيه من الحزن ، وهو في كل ذلك رسول الله والداعية إلى دينه .

٤) تمتاز القصة القرآنية بالإقناع الفكري بموضوع القصة .

أ) **عن طريق الإيحاء ، والاستهواء والتقمص**
فلولا صدق إيمان يوسف لما صبر في الجب على الوحشة ، ولما ثبت في دار امرأة العزيز على محاربة الفاحشة والبعد عن الزلل ، هذه المواقف الرائعة توحي للإنسان بأهمية مبادئ بطل القصة وصحتها ، وتستهويه صفات هذا البطل وانتصاره بعد صبر ومصابرة طويلة ، فيتقمص هذه الصفات حتى إنه يقلدها ولو لم يقصد إلى ذلك ، وحتى إنه ليردّدُ بعض هذه المواقف ويتصورها ويسترجعها من شدة تأثره بها .

ب) **عن طريق التفكير والتأمل** :
فالقصص القرآني لا يخلو من محاورات فكرية ينتصر فيه الحق ، ويصبح مرموقًا محفوفًا بالحوادث والنتائج التي تثبت صحته ، وعظمته في النفس وأثره في المجتمع ، وتأييد الله له . ففي قصة يوسف نجد حوارًا يدور بينه وبين فتيين عاشا معه في السجن فدعاهما إلى توحيد الله . وقصة نوح كلها حوار بين الحق والباطل ، وكذلك قصة شعيب ، وصالح وسائر الرسل : حوار منطقي مدعوم بالحجة والبرهان يتخلل القصة ، ثم تدور الدوائر على أهل الباطل ويظهر الله الحق منتصرًا في نتيجة القصة ، أو يهلك الباطل وأهله ، فيتظاهر الإقناع العقلي المنطقي والإثارة الوجدانية ، والإيحاء وحب البطولة (الاستهواء) والدافع الفطري إلى حب القوة وتقليد الأقوياء ، تتظاهر كل هذه العوامل وتتضافر ، يؤيدها التكرار مرة بعد مرة ، فما أكثر تكرار بعض قصص القرآن حتى تؤدي بمجموعها إلى تربية التصور الرباني للحياة وللعقيدة واليوم الآخر وإلى معرفة كل جوانب الشريعة الإلهية معرفة إجمالية وإلى تربية العواطف الربانية من حب في الله ، وكراهية للكفر وحماسة لدين الله ولحماته ، ولرسل الله ، وولاء لله وانضواء تحت لوائه ، وإلى السلوك المستقيم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

وفق شريعة الله ، والتعامل حسب أوامره ، وبهذا تحيط القصة القرآنية نفس الناشئ بالتربية الربانية من جميع جوانبها العقلية والوجدانية والسلوكية .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

- سابعا: القصة وسيلة دعوية

وتمثل القصة القرآنية كذلك زادا قويا للدعاة إلى الله تعالى ومن ثم فإن "من يقرأ كتاب الله - تبارك وتعالى - يجد أن القصة تتكرر فيه في مواطن عدة، ويتجاوز الأمر إيراد القصة وتكرار ذلك إلى :
* الامتنان على النبي صلى الله عليه وسلم بأن أنزل إليه أحسن القصص: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) [يوسف : ٣]
* الإخبار بأن القصص سبب لتثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم : (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) (هود: ١٢٠).
* الأمر بقص القصص: (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الأعراف: ١٧٦).
* الأمر بالاعتبار بما قص الله في كتابه: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ). (يوسف: ١١١).
ولقد اعتنى صلى الله عليه وسلم بشأن القصص، فحفظت لنا دواوين السنة طائفة من قصصه صلى الله عليه وسلم عليهم من قصص الأمم الماضية وأخبارهم.
ولم تكن قصص القرآن أو السنة قاصرة على أنباء الصالحين وأخبارهم، بل شملت مع ذلك قصص المعرضين والفجار للاعتبار بما أصابهم.
كل ذلك يؤكد أهمية القصة ودورها التربوي الدعوي مما يجدر بالدعاة أن يعتنوا بها ويستخدموها في دعوتهم وخطابهم للناس.
إنها تحمل عنصر التشويق والإثارة، ويُقبل عليها المستمع والقارئ بعناية وإنصات، وهي كذلك تقدم البرهان على تأهل المعاني المجردة إلى التطبيق على أرض الواقع، وتبرز النموذج والقدوة الصالحة، وتزيد المرء إيماناً بقدرة الله تبارك وتعالى وسائر صفاته.
وتبدو أهمية ذلك بشكل أكبر في تربية الناشئة وخطابهم؛ إذ يعاني شباب المسلمين اليوم وفتياتهم من غياب القدوة الصالحة، ومن بروز النماذج والقدوات السيئة والإعلاء من شأنها وتبجيلها لدى الناس". [٣٤]

ضوابط استخدام القصة في الدعوة:

ومع أهمية القصة وعلو شأنها إلا أنه ينبغي أن يراعى في ذلك أمور عدة، منها:

* أن تُعرَض وتُستخدَم في الخطاب بالقدر المعقول؛ فلا تكون هي اللغة الوحيدة في الخطاب، أو تكون على حساب غيرها.
* الحذر من القصص الواهية والأخبار التي لا زمام لها ولا خطام؛ إذ إن النفوس كثيراً ما تتعلق بالغرائب وتجنح إليها، والقليل منها هو الذي يثبت عند التحقيق والنقد العلمي.
* أن تأخذ أخبار النبي صلى الله عليه و سلم وقصصه، وأخبار الرعيل الأول من سلف الأمة مكانها الطبيعي، وألا تطغى أخبار من بعدهم من المتأخرين ممن تعرف منهم وتنكر.

* أن البشر مهما علا شأنهم وارتفع قدرهم، ومهما بلغوا المنازل العالية من الصلاح والتقى فلن تكون أعمالهم حجة مطلقة، بل لا بد من عرضها على هدي النبي صلى الله عليه و سلم ؛ كما يروي بعضهم في مقام الصبر أن شيخاً قام يرقص على قبر ابنه حين توفي رضًى بقدر الله على حد

[٣٤] القصة وسيلة دعوية، مقال للشيخ الدكتور محمد الدويش، من الشبكة العنكبوتية.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

زعمه، وخير من ذلك هدي النبي صلى الله عليه و سلم الذي تدمع عليه ويحزن قلبه، ولا يقول إلا ما يرضي ربه، وهديه صلى الله عليه و سلم القولي والعملي في النوم والقيام خير مما يروى عن بعضهم أنه صلى الفجر بوضوء العشاء كذا وكذا من السنوات، وهديه في تلاوة القرآن خير مما يروى عن بعضهم أنه يختم القرآن كل ليلة، مع التماسنا العذر لمن كان له اجتهاد من سلف الأمة في ذلك. [٣٥]

فالقصة وسيلة وذخر عظيمان للداعية إلى الله إن أحسن استغلالها، والاغتراف منها كان لها أعظم الأثر في نجاح دعوته بما لا يمكن مقارنته بنتائج غيرها من الوسائل.

[٣٥] المصدر نفسه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

- **ثامنا: مقارنة السرد القصصي بين القرآن الكريم والعهد القديم .**

القرآن الكريم هو الأخير من هدايات السماء التي جاءت لإرشاد الخلق إلى الحق، وهو الرسالة العامة الدائمة الشاملة وهذا ما يجعله يمتاز عن الكتب السماوية السابقة هذا إن كانت الكتب السماوية بالحال التي أنزلها عليها ربها سبحانه فكيف وقد نالت تلك الكتب أيادي التحريف والتجريف والتزييف فلا ريب يمتاز القرآن عن هذه الكتب ويصعد في السماء علوا وازدهارا.
وما يصدق على الكل يصدق على البعض وقصص القرآن بعضه، فهو يمتاز هو الآخر عن القصص الذي ورد في الكتب السابقة وقد وردت هذه الأخبار فيها كما وردت في القرآن لكن شتان فبينهما كما بين الثرى والثريا فأين السهى من شمس الضحى وأين التراب من السحاب فالفارق كبير.

- **مشهد بين القرآن والتوراة:**

ولبيان هذا الفارق هاك "مشهداً من العهد القديم " التوراة " ، وهذا المشهد هو امتحان ليوسف عليه السلام في بيت العزيز كما عرضه القرآن بأدق تفاصيله وأحداثه ، وبالكلمات المطهرة داخل مشهد فيه امرأة وملك كريم .

- **المشهد في القرآن:**

قال الله تعالى: { وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) }.
[يوسف : ٢٣ - ٢٥]

- **المشهد في التوراة:**

هذا المشهد بعينه تقدمه التوراة بأيدي الأحبار كما يلي جياشاً بنبضات الإثارة وخافتاً في مفهوم العبرة ، فقد جاء في التوراة: " وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى يوسف وقالت: اضطجع معي ، فأبى وقال لامرأة سيده : هو ذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت ، وكل ماله دفعه إلى يدي ، ليس هو في هذا البيت أعظم مني ولم يمسك شيئاً عني غيرك ؛ لأنك امرأته ؛ فكيف أصنع هذا الشر العظيم ، وأخطئ إلى الله ، وكان إذا كلمت يوسف يوماً فيوم أنه لا يسمح لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها ، ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت ؛ فأمسكته بثوبه وقالت اضطجع معي ، فترك ثوبه في يدها وهرب إلى الخارج ، ثم إنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلةً : انظروا قد جاء إلينا برجل عبراني يداعبنا ، دخل إليَّ ليضطجع معي فصرخت بصوتٍ عظيم " [٣٦]

[٣٦] قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح ٢٣٦، عن القصص القرآني ص ١٠، علي الطاهر عبد السلام.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

- **النتيجة:**

في ضوء هذه المقارنة في مشهد من المشاهد المشتركة بين القرآن الكريم والتوراة التي تّدَخَّلَ في نصوصها الأحبار ؛ فيتبين ويتضح لنا أن الابتكار في القصة ليس في خلق موضوع جديد لم يسبق إليه؛ فقد يكون مألوفاً لدى الناس أو لدى طائفة منهم ؛ ولكن بما يشيع فيه الفن من آيات إبداعه ، ويسكب فيه من روحه، وقد كان الفرق جلياً واضحاً سواء في المدخل إلى هذه القصة أو في أسلوب عرض الأحداث ، أو في الأحداث نفسها .

إن القرآن يضع القصة في إطار ديني ، تنفذ معه أشعة روحية إلى النفوس ببيان العبرة الأخلاقية والتربوية التي من أجلها أنزل الله القصة.

قال تعالى:{ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}. [يونس : ٩٤] [٣٧]

[٣٧] القصص القرآني (ص ٨) .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

- **تاسعا: من أوجه الاختلاف بين القصة الدينية والقصة الفنية.**

وكما تمتاز القصة القرآنية عن غيرها من القصص في الكتب الدينية فهي تمتاز أيضا عن غيرها من القصص الفنية التي تنسجها أيدي البشر ذلك "أن القصة القرآنية تشيع فيها التعليقات التي تلخص مغزى القصة، التي تسبق سرد أحداث القصة، أو تلحق السرد، أو تأتي خلاله لتفسر أسباب تلك الأحداث بما يبررها حتى يكون لها وقعها في النفوس بما يستخدم في التعقيب عليها من أساليب التذكير والوعظ والزجر، ومن الأمثلة على ذلك طريقة عرض قصة أهل الكهف إذ تلتقي بملخصها في ثلاث آيات ثم يأتي التفصيل.

فالقصة القرآنية تحرص على إبراز المغزى في حين لا يجوز ذلك في القصة الفنية، والمحلل الأسلوبي لا يحتاج إلى تبرير مثل هذا المنهج الذي يتناسب مع غايات القرآن الكريم الدينية، فالقصة القرآنية قصة إيمان وهدفها تربية العقيدة في الوجدان الإنساني، والقرآن الكريم جاء لكل العقول والاتجاهات، وبعض الناس قد لا يستطيع استنتاج العبرة من القصة، فكان لابد من إرشاده إلى الغرض الذي تجسده بأسلوب يغلب عليه التبسيط أحياناً لتوضيح العبرة ليفهمها كل إنسان.

ولكن هذا لا يعني أن القصة القرآنية تأخذ بالتقرير والمباشرة وإنما هي تهتم بالتصوير والتجسيم والاستحضار والإيحاء، فسورة "يوسف" من أولها إلى آخرها لم تقل شيئاً عن وسامة يوسف عليه السلام، لكننا نرى الوسامة الأخاذة في أعين النسوة اللائي عندما رأينه، قطعن أيديهن لفرط الذهول من وسامته. فحقيقة جمال ووسامة يوسف قدمت لنا مجسمة تكاد تنطق في قوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) [يوسف : ٣١] والتضعيف في الفعل (قَطَّعن) أسهم في إيضاح الموقف وتصويره بحيث يمكننا تخيل مشهد النسوة وهن يقمن بتقطيع أيديهن، فتشبيه يوسف بالملك الكريم يعني أن جماله فاق الوصف.

وتلفت النظر أيضاً ظاهرة أساليب التوكيد التي أكثر إخوة يوسف عليه السلام من استخدامها، فهم كانوا يتبعون قولهم بعبارة من مثل: (وإنا له لناصحون) ودلالة على ذلك أنهم كانوا يشعرون في قرارة أنفسهم أن نواياهم ليست سليمة، وأنهم موضع شك فيحاولون إبعاد الشبهة عن أنفسهم بأساليب التوكيد.

ومن أسطع الأمثلة على ذلك ما قاله، سبحانه وتعالى، على لسان إخوة يوسف: (قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ) [يوسف : ١٤] فهاهم يلجأون إلى اللام المواطئة للقسم (لئن)، واللام الواقعة في (لخاسرون) والجملة المعترضة (ونحن عصبة) ليزيلوا ما في نفس أبيهم من خوف على يوسف، ولا تبقى له عِلَّه يتشبث بها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

ولبث مزيد من الاطمئنان في نفس أبيهم نلاحظ الضمير الدال على الجمع (نحن - إنا) وجمع المذكر السالم (خاسرون)، ودلالة كلمة (عصبة) لبيان قوتهم ومقدرتهم على حمايته، وكان لدى الوالد إحساس بأنهم يدبرون مكروهاً لأخيهم، لذلك عبر أمامهم عن مخاوفه، لكنهم طمأنوه، بينما نجد الحديث عن الصبر والدعوة إليه وبيان فضله، وبث الشكوى والحزن إلى الله على لسان يعقوب، الذي كان بأمس الحاجة إليه ليستطيع مواجهة الموقف الصعب الذي وجد نفسه فيه". [٣٨]

- **اشتمال القصص القرآني على توجيهات وتحذيرات لا يخل بفنية القصة فيه:**

وينبه العلامة محمد الصادق عرجون رحمه الله تعالى على أنه لا يعيب قصص القرآن الكريم اشتمالها على توجيهات إلى الخير أو تحذيرات من الشر كما ذهب إلى ذلك بعض الأدباء وقابله المثبتون بإنكار ذلك فإنه " ليس ثمة حجة لإنكار أن في القصص القرآني توجيهات دينية لكل ما جاء به الإسلام من مبادئ وعقائد، ولكل ما أنكره الإسلام من خلق وعادات وآراء زائفة وعقائد وعادات باطلة، لكن مع كل هذا لا نستطيع عد هذه الأمور أغراضاً حين ندرس أغراض القصص القرآني؛ ذلك أن هذه الأمور كانت تأتي بين طيات هذه القصص وثناياها، وهي في هذا الوضع أو من هذا الجانب تشبه تماماً تلك الآراء والصور المنثورة التي تأتي أثناء العرض القصصي في كل قصة. [٣٩]

---

[٣٨] القصة في القرآن الكريم.. الخصائص والدلالات، ص٩، د. إبراهيم الصعبي، بدون بيانات .

[٣٩] القرآن الكريم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، محمد الصادق عرجون ، ص ٣٧. عن التوجيهات الإلهية ص ٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

- **عاشرا: تنبيهات وتحذيرات**

يجدر بالباحث في القرآن الكريم على مناحي فروع البحث فيه كثرة وتنوعا ألا يغفل عن قدسية هذا الكتاب الجليل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

كما يجدر به أن يعطيه مكانه اللائق به حين يقارنه بفنون التعبير المختلفة فلا يجعله فرعا عن تلك الفنون يحاكمها إليه أو يأمل أن يجد عناصرها كلها فيه فما القرآن كذلك ولا نزل لذلك، فينبغي على الباحث أن يعامل القرآن باستقلاليته التامة وعصاميته الكاملة وحصانته العالية على كل هاتيك الفنون فيحاكمها إليه إذ هو الأصل، ولا يخضعه لأغراضها، ولا يغفل عن غايته الأساسية التي من أجلها أنزل ألا وهي هداية البشرية.

لكن الباحث إذا أغفل كل هذا وقع في المحذور والمحظور كما لو عامل –فيما يتعلق ببحثنا هذا- القصة القرآنية كقصة فنية، وحاكمها إلى خصائص وسمات القصة الفنية وأخضع القصة القرآنية لمعايير وموازين القصة الفنية عموما إن ذلك لمن أكبر الخطأ.

ومن ذلك ما حكى الشيخ مناع القطان رحمه الله تعالى أن " أحد الطلاب الجامعيين في مصر قدم رسالة لنيل درجة (الدكتوراه) كان موضوعها : (الفن القصصي في القرآن) أثارت جدلاً طويلاً سنة ١٣٦٧ هجرية ، وكتب عنها أحد أعضاء اللجنة الذين اشتركوا في مناقشة الرسالة - وهو الأستاذ أحمد أمين- تقريرًا بعث به إلى عميد كلية الآداب ، ونشر في مجلة (الرسالة) وقد تضمن التقرير نقدًا لاذعًا لما كتبه الطالب الجامعي، وإن كان أستاذه المشرف قد دافع عنه.

وصدر الأستاذ (أحمد أمين) تقريره بالعبارة الآتية:

(وقد وجدتها رسالة ليست عادية ، بل هي رسالة خطيرة ، أساسها أن القصص في القرآن عمل فني خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ . ثم قال : (والواقع أن محمدًا فنان بهذا المعنى)

(وعلى هذا الأساس كتب كل الرسالة من أولها إلى آخرها ، وإني أرى من الواجب أن أسوق بعض أمثلة ، توضح مرامي كاتب هذه الرسالة وكيفية بنائها) ، ثم أورد الأستاذ (أحمد أمين) أمثلة منتزعة من الرسالة تشهد بما وصفها به من هذه العبارة المجملة. [٤٠]

كادعاء صاحب الرسالة أن القصة في القرآن لا تلتزم الصدق التاريخي . وإنما تتجه كما يتجه الأديب في تصوير الحادث تصويرًا فنيًا ، وزعمه أن القرآن يختلق بعض القصص وأن الأقدمين أخطأوا في عد القصص القرآني تاريخًا يعتمد عليه .

---

[٤٠] انظر نقد كتاب (الفن القصصي في القرآن)، للأستاذ محمد الخضر حسين، بلاغة القرآن ص ٩٤، مباحث القطان ص٣٢٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

والمسلم الحق هو الذي يؤمن بأن القرآن كلام الله ، وأنه منزه عن ذلك التصوير الفني الذي لا يعنى فيه بالواقع التاريخي، وليس قصص القرآن إلا الحقائق التاريخية تصاغ في صور بديعة من الألفاظ المنتقاة، والأساليب الرائعة .

ولعل صاحب الرسالة درس فن القصة في الأدب ، وأدرك من عناصرها الأساسية الخيال الذي يعتمد على التصوير، وأنه كلما ارتقى خيالها ونأى عن الواقع كثر الشوق إليها ، ورغبت النفس فيها ، واستمتعت بقراءتها، ثم قاس القصص القرآني على القصة الأدبية .

وليس القرآن كذلك فإنه تنزيل من عليم حكيم ، ولا يرد في أخباره إلا ما يكون موافقًا للواقع ، وإذا كان الفضلاء من الناس يتورعون من أن يقولوا زورًا ويعدونه من أقبح الرذائل المزرية بالإنسانية ، فكيف يسوغ العاقل أن يلصق الزور بكلام ذي العزة والجلال ؟

والله تعالى هو الحق : (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) [الحج : ٦٢].

وأرسل رسوله بالحق: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) [فاطر: ٢٤].

(وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ) [فاطر: ٣١].

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ) [النساء: ١٧].

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) [المائدة: ٤٨].

(وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ) [الرعد: ١].

وما قصه الله تعالى في القرآن هو الحق : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ) [الكهف: ١٣].

(نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ) [القصص: ٣]". [٤١]

ألا إن الباحث الذي يغفل مصدر القرآن ومنزله ، ويلغي من اعتباره قدسيته ، ويهمل ميزاته وخصائصه، يقع لا شك فيما لا يسلم له معه دين، ولا يستقيم له به بحث، وما قدمت من مثال من ورائه أمثلة لأناس ضلوا في دينهم وبحثهم لما أخطـأوا السبيل الصحيحة للتعامل مع هذا الكتاب العلي الحكيم.

[٤١] مباحث في علوم القرآن للقطان (٣١٩-٣٢١).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

- الخـاتمة.

الباحث في القرآن الكريم مستمتع بعلومه، متنعم بفنونه، غني بلآلئه وأثمانه، مترف بغصونه وأفنانه، والقصص القرآني – خاصة – زاخر عامر بهذه الأثمان والأفنان، ومع هذه التطوافة السريعة حول المعاني الإجمالية والقواعد الكلية والضوابط العلمية للقصص القرآني أستطيع أن أضع بين يدي المتأمل له والقارئ فيه يبغي الهدى هذه النتائج التي خرجت بها من بحثي هذا:

أولا: القصص – بعامة - وسيلة من وسائل التعبير الجذاب، وفن من فنون القول الخلاب ولون من ألوان التعبير الجيد عن الفكرة.

ثانيا: سلك القرآن الكريم سبيل القصة –كما استعمل فنون التعبير الأخرى- في الوصول إلى غايته وهي هداية الثقلين إلى الصراط المستقيم، وذلك في غير إفراط أو تفريط، واستطاع أن يحقق ذلك بيسر وسهولة.

ثالثا: تنوع القصص في القرآن الكريم فمن قصص النبيين إلى قصص الأمم والحضارات إلى قصص وقعت في مطلع عصر الإسلام، وقد تنوع تناوله لهذا القصص أيضا فكرر منها وأفرد وكل ذلك لحكمة مقصودة وفائدة مرادة.

رابعا: سيقت القصص القرآنية لأغراض سامية ومقاصد رفيعة تخدم في مجملها قضية التوحيد وما يوصل إليها كإثبات النبوة أو إثبات البعث والجزاء، والقصد هداية الناس إلى المذهب الحق في ذلك، وقد نجحت في ذلك أيما نجاح.

خامسا: امتاز القصص القرآني بخصائص تميزه عما سواه من القصص البشري الفني من الإيجاز غير المخل الذي يصل إلى الغرض من أقرب طريق مع تحقيق فنيات القصة، وتحقيق الغاية الذي لا يخلو سبيل الوصول إليه من إثارة وتشويق، والواقعية التي تحمل في طياتها الصدق والقدوة.

سادسا: تمتاز القصة القرآنية عن غيرها من وسائل التعبير الأخرى بدور عظيم في التربية الإسلامية لا يحققه لون آخر من ألوان الأداء اللغوي ، مما جعل لها آثارًا نفسية وتربوية بليغة، محكمة، بعيدة المدى على مر الزمن.

سابعا: تمثل القصة القرآنية زادا قويا وكبيرا للداعي إلى الله تعالى، مما يكون له أعظم الأثر في نجاح دعوته - إن استعملها - بما لا يمكن مقارنته بنتائج غيرها من الوسائل.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

ثامنا: قصص القرآن يمتاز عن القصص الذي ورد في الكتب السابقة، التي نالتها أيادي التحريف والتزييف، ويختلف عن سواه من النتاج البشري، فالقرآن يضع القصة في إطار ديني ، تنفذ معه أشعة روحية إلى النفوس ببيان العبرة الأخلاقية والتربوية التي من أجلها أنزل الله القصة، ولا يعيب قصص القرآن الكريم اشتمالها على توجيهات إلى الخير أو تحذيرات من الشر.

تاسعا: يجدر بالباحث في القرآن الكريم ألا يغفل عن قدسيته ولا يقيسه على غيره من عمل البشر، فالقصة القرآنية ليست كالقصة فنية، فلا تحاكم إلى خصائص وسمات القصة الفنية ولا تخضع القصة القرآنية لمعايير وموازين القصة الفنية وإلا وقع في أكبر الخطأ.

عاشرا: إن القرآن كان وسيبقى كتاب البشرية المعصوم، الذي يحدو بها إلى المثالية ولا يغفل عن واقعيتها، يقدم لها الهداية في كل زمان ومكان بالوسيلة التي تناسبها وتليق بمخاطبتها، ولا يزال القرآن يشع ضوؤه وينير لسالكيه طريق الهدى، فإذا أحسنت البشرية إلى نفسها فلتقتد بهداه، ولتجب نداء منزله ومولاه، وعلى عقلائها تقع التبعة وتلقى المسئولية.

والحمد لله أولا وآخرا، سرا وعلانية، ظاهرا وباطنا.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

ثبت المراجع

- القرآن الكريم.
- صحيح البخاري.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، للعلامة محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، .
- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- أصول في التفسير للشيخ محمد بن صالح العثيمين.
- القصص في القرآن الكريم، إسلام محمود دربالة.
- التوجيهات الإلهية للفرد المسلم من خلال القصص القرآني في سورة القصص، المحامي الدكتور مسلم اليوسف، بدون بيانات.
- القصص القرآني دراسة لأسلوب القصص القرآني قصة يوسف عليه السلام نموذجاً، علي الطاهر عبد السلام.
- القصة في القرآن الكريم.. الخصائص والدلالات، د. إبراهيم الصعبي، بدون بيانات.
- القصة وسيلة دعوية، مقال للشيخ الدكتور محمد الدويش.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net الحصري والجديد

الفهـــــــــــرس

- مقدمة ٢
- محـــــــاور البحث ٣
- أولا: تمهيد ٤
- أ- اشتمال القرآن على كافة فروع العلم ٤
- ب - اشتمال القرآن على أصول فنون التعبير ٥
- ثانيا: القصة في التعريف اللغوي والاصطلاحي، وفي القرآن الكريم ٦
- ثالثًا: أنواع القصص القرآني ٨
- المبحث الأول: أنواع القصص القرآني من حيث التكرار وعدمه ٩
- بعض الحكم من وراء تكرار القصص القرآني ٩
- المبحث الثاني: أنواع القصص القرآني من حيث موضوعه ١١
- رابعا: أغراض القصص القرآني ١٢
- خامسا: خصائص القصص القرآني ١٧
- سادسا: التربية بالقصص القرآني ١٩
- أثر القصص القرآني في التربية والتهذيب ١٩
- الميزات التربوية للقصص القرآني ٢٠
- سابعا: القصة وسيلة دعوية ٢٣
- ضوابط استخدام القصة في الدعوة ٢٣
- ثامنا: مقارنة السرد القصصي بين القرآن الكريم والعهد القديم ٢٥
- تاسعا: من أوجه الاختلاف بين القصة الدينية والقصة الفنية ٢٧
- عاشرا : تنبيهات وتحذيرات ٢٩
- الخاتمة ٣١
- ثبت المراجع ٣٣
- الفهرس ٣٤